علامة الاحتفال بحفلة غير اعتيادية فوقف برهة واذا بعربة مذهبة شقت الجموع وعليها شارات السيادة ووراءها عدد عديد من العربات الفاخرة فسأل احد الحضور عن ذلك فاجابه — ان هذه عربة الدوق پارسلان . وهو ذاهب مع الدوقة امرأته للاحتفال بشأن ابنتهما مدموازل پارسلان التي ... فابتعد فلوريدور بدون ان يسمع تمام الحديث وقال — اواه لقد نجحت مساعي واكاذيبي وها هي تتزوج بشريف مثلها .. لماذا لست الا مشخص روايات خامل الذكر . وسار ملتجئاً الى غرفته لسكب الدموع واذ وصل اليها رأى على الخوان ورقة معنونة باسمه ففض ختامها واذا بها ما ياتي :

« رغماً عن محاولتك اقتلاع حبك من فؤادي بقي شخصك نصب ناظري وغرامك لا يبارحني حتى الرمس . ولم يخف عليَّ كم اجهدت نفسك بغية ارضاء خاطر والدي لانني عرفت ان اقرأ دائماً تحت نقاب التصنع اسطر حب خطها القدر على جبينك فلا تزول . ولهذا اقسمت ان لا اسلم يدي لاحد بعد ان سلمتك اياها امام الله ولا يمكن ان اتخذ لي بعلاً سواك . وبما ان هذا اصبح املاً بعيد المرام وكل شيء حتى ارادتك تفصلني عنك فضلت الانخراط في سلك الرهبنة لا بريء قسماً فهت به فلا احنث بميني

اليوم اتشح السواد والبس النقاب . وهذا الكتاب آخر فكر ارسله على الارض ابعث به اليك وحين اطلاعك عليه تكون حبيبتك مرغريتا دي پارسلان ميتة في هذا العالم لتحيا بالله

كانبته

الراهبة ايناس

انس الجليس

﴿ الجزء الخامس — السنة الخامسة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ الموافق ٢٣ صفر سنة ١٣٢٠ ﴾

تأثير الحيوان

﴿ بالسعادة والشقاء ﴾

كثيراً ما يتفق للانسان حين تأمله فيما يجول حوله من هذا الحيوان الاعجم ان يسأل نفسه او سواها ما هي سعادة هذا الحيوان وما هو شقاؤه وهل هو فيهما على حد الانسان او لا . وهذا ولا شك سؤال يقتضي التأمل والاعتبار لانه اذا كان كنه السعادة والشقاء لم يتحدد في ذهن الانسان ولا درى لهاتين الحالتين تعريفاً ينتهي عنده البحث فانه من البعيد ان يعرف مقدارهما في الحيوان الاعجم وايهما اشد فيه تأثيراً او ايهما اشد له ملازمة ولا سيما بعد ما يبدو من شقاء الحيوان واستخدام الانسان لاكثر انواعه واستبداده به فضلاً عما اختص به الحيوان من العجمة التي لا يدري شعوره بهما الا من طريق القياس او التخمين

ولقد قلنا ان الانسان لم يدر ولن يدري مقدار السعادة والشقاء وتأثيرها في نفسه على طول وقعها عليه وملازمتها اياه وهو قول صحيح لان من الناس من يجد السعادة في كونه غنياً . ومنهم من يجدها في انه معافى . ومنهم من يراها في انه قنوع او شاب جميل الوجه او حسن الصوت او قوي العضل الى غير ذلك من مواهب الطبيعة وعنوها ولهذا فعسير عليه ان يدرك كل مقدارها في سواه من الحيوانات العجم

الا انه سواء عرف مقدار الشقاء والسعادة في الحيوان او لم يعرفا فانه دون شك على جانب عظيم منهما وان لم يعلم ايهما اشد ملازمة له وتاثيراً به لامتناع مشافهته وشكواه وعدم ظهور شيء من ذلك فيه الا في الحالات الجلية الواضحة التي لا تقتضي بحثاً كتألمه وتعبه وغير هذا من الحالات الطبيعية المشتركة بها كل انواع الحيوان على السواء . ولكن كثيرين حين تأملهم في احوال الحيوان يعتقدون انه على شدة جهده واستخدام الانسان اياه وارهاق الطبيعة له انما هو اقل من الانسان شعوراً بالشقاء واشد منه تأثراً بالنعيم ولهذا نجد البعض حين تبرح بهم المصائب يتمنون لو كانوا حيوانات لا يدركون او جمادات لا يشعرون ولعلهم في تمنيهم على جانب من الصواب وان كان شعور الحيوان لم يدر بالتحقيق كما قلنا

ولقد تعرض احد الباحثين لهذا الشأن ممن ارادوا معرفة الفرق بين شعور الحيوانين الناطق والاعجم فتحصل له من طريق المراقبة والقياس ان الحيوان والانسان ليسا سواء في شعورهما بالسعادة والشقاء فانه ذكر انه اذا اعتبرت الاحوال الطبيعية التي تصاحب كلا الحيوانين كالامن والذعر والخطر والسلامة والجوع والشبع والرسيم والظماء والتعب والراحة وامثال هذه

الاحوال فانهما يكونان سيين على الغالب ولكنه اذا اعتبرت الحالات الخارجة عن حدود الطبيعة كاجتماع الانسان وتأنقه ولهوه في الزخارف التي يصنعها لنفسه دون الطبيعة فان الانسان يكون اسعد من الحيوان بكثير لانه حين تشترك احوال الطبيعة ومؤثراتها مع الفريقين يبقى الانسان على جانب لم يدركه الحيوان وهو جانب الصناعة والحيلة على ابعاد اذى الطبيعة والتماس ملذاتها او انشائها انشاء

الا ان الطبيعة لا يمكن ان تكون ظالمة للحيوان الى ذلك الحد فتجعل شقاءه مثل شقاء الانسان من حيث وقعها عليه وتخصص الانسان بسعادة لا ينالها الحيوان من حيث ضعفه عن الصنع والحيلة بل هي لا بد ان تكون قد ساوتهما مساواة تامة بان تنقص عن هذا ما زادته على ذاك فتكون ملذة الحيوان في حالة زائدة على ملذة الانسان فيها وشقاؤه في شيء اقل من شقاء الانسان به ولعل هذا لا يخلو من صواب لبعض ما يبدو من احوال الانسان والحيوان

اما ملذة الحيوان فانها على ما يظهر اقل من ملذة الانسان لانه لا ينال منها الا ما تسمح به الطبيعة المحضة من شبع بعد جوع وري بعد ظماء وراحة بعد تعب ولكنه اذا اعتبر ان امتناع الشقاء شبه سعادة او ملذة فان الحيوان يكون شبيهاً للانسان في حاليه باعتبارات شتى لا نذكر كلها ولكن الذي نذكره ان في احوال الطبيعة ما يكون الحيوان فيه اكثر هناء واقل شقاء كالشبع والري مثلا فان الذي يشاهد من الحيوان انه يكون حين حصوله عليها اشد مسرة من الانسان واكثر استمتاعاً ونعيماً حتى يبدو ذلك من حركاته وهيئاته مما لا يشاهد منه في الانسان الا شيء لا يشعر به او لا

يشاهد واضحاً الا حين التعب والظمإ الشديد وكل هذا يكون لانه ليس للحيوان ملذات صناعية تستهلك شعوره بالملذات الطبيعية فهو يشعر بملذة الري والشبع والراحة وسواها اكثر من شعور الانسان بها لادخاره لها هذا الشعور وعدم انفاق شيء منه في سواه

ثم انه مما قد يراقب في الحيوان دون الانسان انه اقل شعوراً بالشقاء الذي يرد من عند الطبيعة وسواها فان الحيوان حين يصاب بالم من جرح او ضرب فان تألمه على ما يبدو منه يكون اقل من تألم الانسان ولذلك كثيراً ما يشاهد الحيوان جريحاً دامياً ثم هو مع ذلك نشيط جائل مضطلع باعبائه وهو ما يدل على ان المه كان اقل مما يظن والا سقط اعياء وكان مريضاً كما هي الحال في الانسان . وعدا هذا فان كثيراً من انواع الحيوان ما تقطع بعض اطرافه واعضائه ثم يظل جائلاً آكلاً مع ان الذي اصابه لو اصاب لانسان لكان مبرحاً وقاضياً له باشد الآلام حتى لا يستطيع حراكا او يذوق طعاماً . بل ان كثيراً من الحيوان ما يبتر بعض اعضائه بتراً ذاتياً ليتخلص من ورطة او ينجو من خطر ثم يظل سليماً معافى مع ان هذا مما لا يستطيع ان يباشره الانسان بنفسه الا اذا جن جنونه او كان جاهلاً في حد الحيوان كما يفعل البعض ممن يقطعون اصابعهم ويفقأون عيونهم تخلصاً من الخدمة العسكرية ومثل هؤلاء قل ان يفرقوا عن الحيوان لانهم عاشوا معيشته في اعتيادهم الشقاء والجهد الشديد وقد مات احساسهم من الجهة الادبية حتى تبعه موت شيء من احساسهم المادي

ثم ان الحيوان عدا عن اختصاصه بشيء من مسامحة الطبيعة له في شقائها المادي فانه يختص بشيء قد يكون سعادة ما بعدها سعادة من الجهة الادبية

المعنوية وذلك من حيث تأثر العواطف والوجدانات بالمؤثرات الادبية فان الحيوان اذا فارق اليفه او وطنه فقد لا يجد لذلك شيئاً من التبريح والوجد الذي يجده الانسان اذ ان الانسان قد يجن من شدة الحزن او يقتل نفسه تخلصاً من وجدانه المؤلم على حين لا يفعل الحيوان شيئاً من ذلك واذا اتفق ان شوهد منه هذا فانما يكون نادراً لا يعتد به

الا انه اذا كان لا يستطاع كل الحكم على الحيوان من جهة تأثره لفراق مكانه او اليفه او شيء مثل ذلك فان الحكم عليه مستطاع من جهة قلة تأثره بالخطوب ومبالاته بها فان الحيوان حين يلد يكون اشد المخلوقات اكتنافاً لمولوداته واكثرها اشفاقاً وحنواً عليها حتى ان منها ما يقتحم النار تخليصاً لها اذا اكتنفتها ويواجه صدور الرماح والبنادق دفاعاً عنها اذا تعرض لها احد باذى ولكن هذا الحنو الشديد لا بد ان يكون مصاحباً بمسرة ولذة لا يجدهما في الانسان في نفسه وذلك لان الانسان اذ لا يدافع عن اولاده كل ذلك الدفاع فهو على الارجح لا يجد في نفسه منهم مقدار تلك المسرة . ثم ان الامر قد ينعكس الى ضده من جهة الحزن فان الحيوان على شدة دفاعه عن اولاده وحنوه عليها لا يجد لفراقها او موتها مقدار الحزن الذي يجده الانسان بل ان الحيوان يقتل ابنه او يؤخذ منه او يموت امامه فينوح عليه نوحاً يبدو منه جلياً ولكنه لا يمضي عليه اليوم واليومان حتى تجده قد سلا ما فقد ونسي ما كان فيرجع الى مرحه وحالته الاولى على خلاف الانسان فان حزنه على مفقوده قد يشتد به الى حد الموت فيقضي حزناً على من قضى له فضلاً عن ان تبريح الحزن مما يصاحب الانسان دهراً طويلاً حتى ينغص عليه كل ملذاته ويجد الحيوان اسعد منه واهنأ بالاً

وعلى الاجمال فان شعور الحيوان بالمصائب والمكاره اقل جداً من شعور الانسان بها الى حد لا يؤسى به على الحيوان ولا يعتبر معه انه مظلوم من الطبيعة والناس. وحسبك دليلاً على ذلك ان توقع الموت معدوم من نفسه فهو لا يدري انه سيفقد من هذا الوجود ولا يعلم اذا مرض انه قد يموت. وانت متى علمت ان من اشد ما ينغص البقاء على الانسان معرفته بانه مائت لا محالة وانه لا همّ له من دنياه الا الحرص على هذه الحياة والقلق الدائم لها. فقد هان عليك ان تعلم ان الحيوان ليس باشد شقاء من الانسان ولو بدا منها بدا في مظاهر الشقاوة التي لا تحتمل بل ان الانسان يشقى في حياته بمقدار سعادته منها فكلما كثرت له اسباب السعادة كثرت معها اسباب الشقاء لانها تجيء معها على طريق واحدة واما الحيوان فيشقى شقاءً مادياً لا يعرفه الا في الحاضر فقط ويسعد سعادة مادية لا يعلمها الا في حينها فهو لا يأسى على ما فات ولا يتوقع لما هو آت وحسبك بها سعادة قد عدمها الانسان من بين كل الحالات

﴿ شدة التوفير ﴾

للانسان من دنياه حالات كثيرة يلهو بها وينعم وهي لا حد لها ولا تعريف اذ انها كحالات الشقاء لا تحصى ولا تعرف ولكن اذا كان اشد ما يصاب به الانسان من موجبات حزنه واسفه هو اشتداد فقره وعدمه وضيق مذاهب التحصيل في وجهه فلا شك ان اشد ما يكون موجباً لسروره ونعيمه هو

فرط غناه وكثرة ادخاره لان المسرة بجمع المال والحصول عليه معدودة عنوان المسرات في نظر الاكثرين

الا انه اذا كان لا يوجد فرق في المسرة بين جمع المال وادخاره وبين المسرة في انفاقه والاستمتاع به فان فيما بينهما فرقاً بعيداً من جهة النتيجة وهو ما لا ينتبه اليه الاكثرون الا بعد ان تكون قد خانتهم اعمارهم وخانتهم لذة التحصيل والانفاق فيقعدون لا مال لديهم ليسروا بانفاقه اذا كانوا من الباذلين ولا نشاط لهم ليسروا بتحصيل المال اذا كانوا من الباخلين

اما الذي يجد المسرة في دنياه بتحصيل المال وانفاقه في حين واحد فقد حاز دون شك لتمام اللذتين لانه ممن يكونون قد ركب في طباعهم عدم الاعتداد بما يجيء به الغد فهو يحصل مسروراً وينفق مسروراً ثم لا يكون سروره فقط من حيث ما جاء به المال مباشرة بل من حيث ما يعتقده في نفسه من ثناء الناس عليه واعجابهم به واعظامهم له فضلاً عما يجده في نفسه من المسرة بكثرة اطلاعه وزيادة تجاربه واتساع عقله بحيث انه اذا انفق وخانته المقادير حتى لا يتهيأ له ملذة من تحصيل او انفاق فانه يجد في نفسه عزاء كبيراً من مشاركة الناس له في كل حالاته ومساعدتهم اياه في كل ما ينويه فضلاً عن انه يكون في انفاقه الماضي قد استفاد من دنياه فوائد جمة تعينه على كل ما يريده من اعماله بحيث تكون شبه رأس مال له حين يعجزه المال ولهذا يقولون ان الكريم لا يضام يريدون بذلك ان الباذل يكون كأنه قد اقرض الناس بعض امواله حين كان ينفقها ولو لم يكن انفاقها عليهم او يكون كأنه اقرض نفسه علماً واختباراً تردهما اليه حين يريدهما منها وكثيراً ما وجدنا ذلك بين الناس حتى لنرى ان صاحب العلم والخبرة اغنى من